وهذا ما يؤكد، يضيف نمر سرحان، «ان القالب اللحني واحد في كل الحالات: عالياديّ، جفرا، ويا ريمة اللي فرَّعِت. وسمعت هذا القالب مستهلا بعبارة 'يا ريمة فرعنت' وكلمة فرعت بمعنى تفرعت، واما فرعنت فهي بمعنى اينعت وازهرت. وتفرعن الرجل معناها اصبح مثل فرعون اي حاول السيطرة على الناس. والريمة هي الغزالة والتشبيه المقصود هو المرأة»[٨]. هذا كل ما يورده نمر سرحان حول لحن الجفرا.

اما حسن الباش، فينفرد من بين جميع الباحثين بالحديث عن اصل الجفرا فيرى ان هذا اللون «يرجع بأصوله الى الف سنة خلت»[٩]، ويضيف: «هو لون متطور عن اغاني الدبكة التي كانت تؤدى لدى بعض القبائل العربية. فقد ورد في كتاب سيرة بني هلال ان افراد القبيلة كانوا يشتركون في اداء الرقصات الشعبية القبلية مع مرافقة ذلك ببعض الاغاني التي عرف منها اغنية الجفرا وظريف الطول وغيرها»[١٠]. ويفسر حسن الباش ذلك بقوله: «لقد انطلقت الجفرة من اصل لا يغنى الان، ولكنه ظل محفوظا لدى الشعب وسار على لحنه مع تغيير للمطلع الاول الذي يعرف هذا النوع باسمه. والاصل القديم له يقول:

«عَـدْلا مويـل الهوى وعيني يـا البْنَيّـا امـرِ المقدرْ نَفَـذْ ويشْ يطلعْ بـايـديّـا»

اما ما طوّره الشعب، فيرد على الشكل التالي: «جفره وياها الربع...»، واصبح كل مقطع يبدأ بهذا المطلع، والتزم في الجفرة واصبح عادة متبعة. اما الشكل الفني الذي يتبعه، فيمتاز بكثير من الامور، اولها: انه يبدأ بقول «جفره وياها الربع»، وثانيها: انه يلتزم في اخر كل مقطع قافية واحدة تأتي على الياء المشددة مع الف ممدودة، وثالثها: انه يتألف من اربعة اشطر... الاشطر الثلاثة الاولى تلتزم قافية محددة متماثلة، بينما الشطر الرابع يأتي على قافية مغايرة وتبقى واحدة في كل مقاطع الجفره واقوالها»[١١].

اما يسرى جوهرية عرنيطة فلم تُشر لا من قريب ولا من بعيد الى نوع الجفرا، كذلك الباحث اللبناني، منير الياس وهيبه الخازن، فهو لم يشر لنوع الجفرا في كتابه عن الزجل الصادر عام ١٩٥٢، كذلك كان صنيع الدكتور خليل احمد خليل في كتابه عن الشعر الشعبي اللبناني، الصادر ــ بتقديري ــ عام ١٩٧٤[١٢]. واورد عبد اللطيف البرغوتي نماذج اردنية من جفرا، وقدم يوسف ايوب حداد نماذج من الجفرا كانت تغنى في قرية «البصـة»* وهي قرية فلسطينية تختلط حدودها وتتداخل مع الارض اللبنانية[١٣]. وحول هذه الروايات جميعها، نقدم الملاحظات التالية:

اولا ــ لم يشر الباحثون الفلسطينيون الى اصل الجفرا، سواء اكان ذلك لمناسبتها أم لمكانهـا ام لمؤلفها، ما عدا الرواية الوحيدة التي قدمها حسن الباش، وهي رواية تتسم بالعمومية؛ حيث لم يذكر لنا في اي طبعة من طبعات سيرة بني هلال، وردت هذه الاشارة او حتى لبيت الشعر «عدلا مويل الهوى...»، وقد راجعنا الطبعات الرئيسية لتغريبة بني هلال (احداها طبعت في بيروت[١٤] والاخرى في القاهرة[١٦]) فلم نجد ما يشير الى ذلك، ولا اعرف من اين استقى هذا الخبر. ولدى مراجعتنا لتغريبة بني هلال، وجدنا ان ٩٩ ٪

---

* بتقديرنا ان يوسف حداد نقل نصوص الجفرا التي اوردها نقلا حرفيا عن كتاب تـرمسعيا الصادر عن مركز الابحاث.